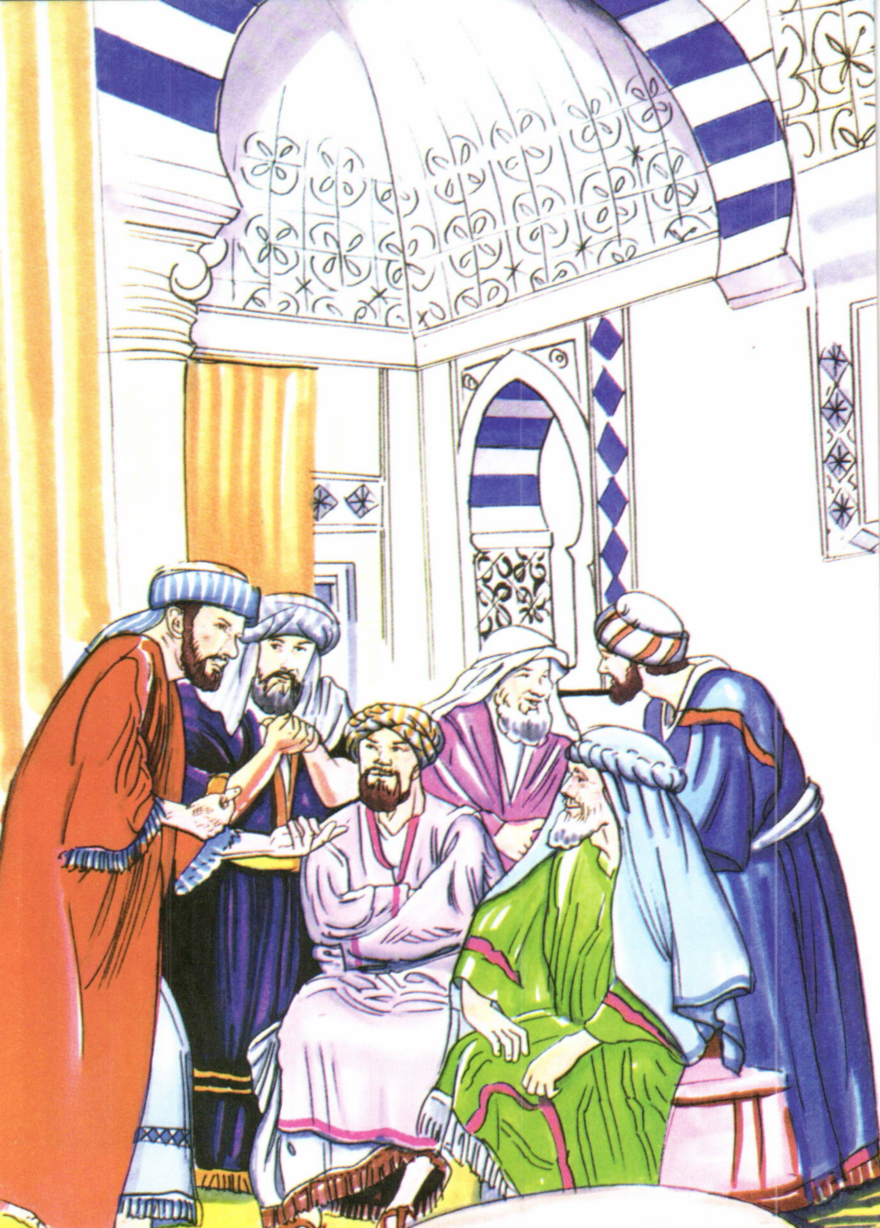
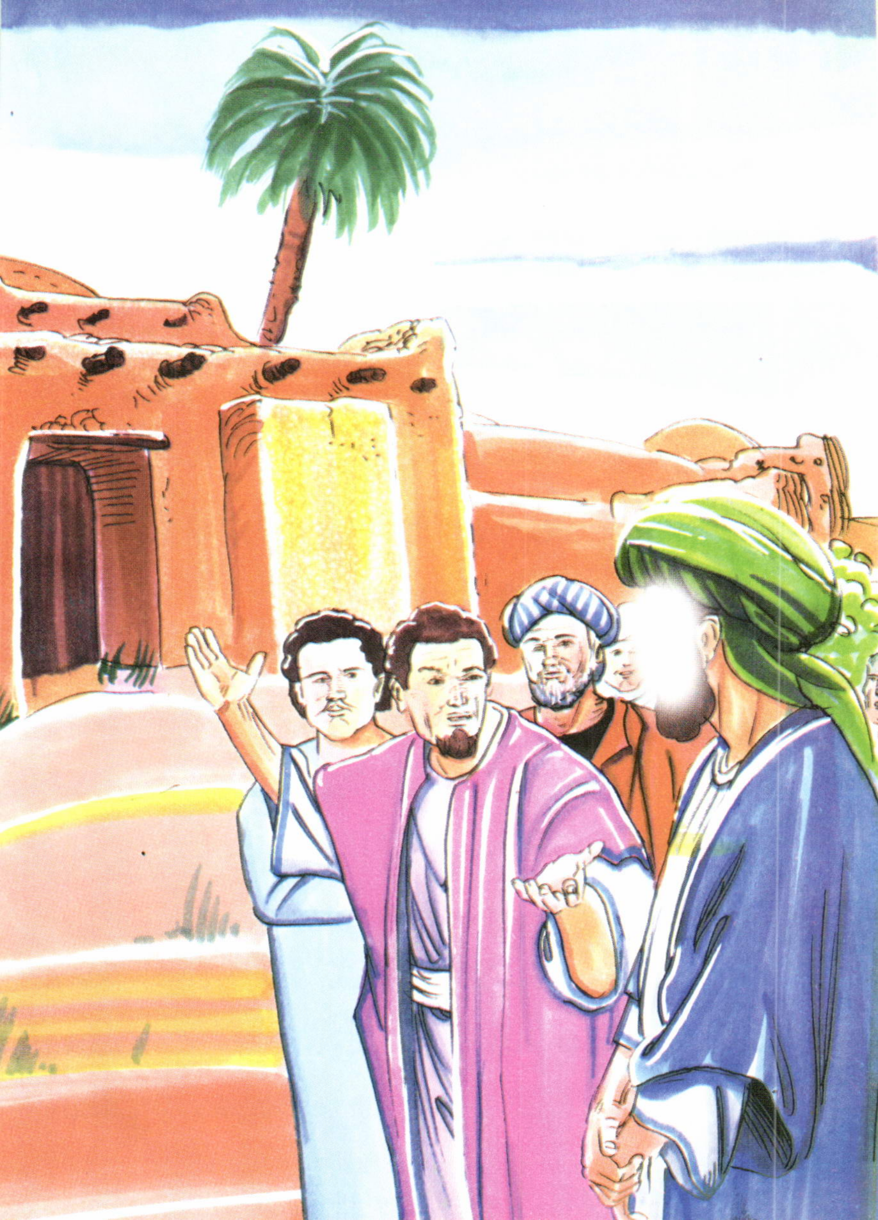

سلسلة السيرة النبوية الشريفة
مُحمّد (ص)
في مواجهة المشركين
الأعلمي الصغير



إِنَّهُ أَبو طالِبٍ، واحِدٌ مِنْ أَبْرَزِ ساداتِ قُرَيْش، قَرَّرَ أَنْ يَنْصُرَ مُحَمَّداً. فَمَنْ تُرى يَجْرُؤُ عَلى التَّعَرُّضِ لاِبْنِ أَخيهِ مُحَمَّدٍ أَوِ الإِساءَةِ إِلَيْهِ؟

إِنَّ الْقَوْمَ يُعانونَ مِنْ مُشْكِلَةٍ كَبيرَةٍ، وَهَمٍّ عَظيمٍ يُؤَرِّقُ مَنامَهُمْ. فَلَيْسَ مُحَمَّدٌ (ص) بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ سِوى مُفَرِّقِ الْجَماعَةِ، وَمُسَفِّهِ الأَحْلامِ، وَمُعيبِ الآلِهَةِ، وَالْكافِرِ بِما وَجَدوا عَلَيْهِ آباءَهُمْ. وَهُوَ في الْوَقْتِ ذاتِهِ واحِداً مِنْ أَشْرَفِ ساداتِ قُرَيْش، وَأَكْرَمِهِمْ نَسَباً، وَأَنْبَلِهِمْ عَشيرَةً، وَلِبَني هاشِمٍ في قُرَيْش مَكانَةٌ لا تُضاهيها مَكانَةٌ أُخْرى، فَكَيْفَ يَصْنَعُ أَهْلُ مَكَّةَ، وَبَنو هاشِمٍ جَميعُهُمْ وَقَفوا إِلى جانِبِ مُحَمَّدٍ (ص) بَعْدَ أَنْ دَعاهُمْ إِلى ذلِكَ عَمُّهُ أَبو طالِبٍ؟

الطَّريقَةُ الْمَنْطِقِيَّةُ الْوَحيدَةُ إِلى صَرْفِ مُحَمَّدٍ عَنْ دَعْوَتِهِ، هِيَ اللّينُ وَالرِّفْقُ وَمُحاوَلَةُ الإِقْناعِ بِالْحِوارِ، عَلَّ الْحِوارَ يُوَفِّرُ ما يُمْكِنُ أَنْ تُسْفِرَ عَنْهُ الدَّعْوَةُ إِلى الإِسْلامِ، الَّتي لَمْ تَأْخُذْ آراءَهُمْ بِعَيْنِ الاعْتِبارِ، وَلَمْ تَتَراجَعْ أَمامَ عِنادِهِمْ وَتَشَبُّثِهِمْ بِالْماضي وَمُعْتَقَداتِهِ.



وَحينَ هَمَّ الْمُشْرِكونَ بِاعْتِمادِ هذهِ الْوَسيلَةِ لِرَدِّ مُحَمَّدٍ (ص) عَنْ رِسالَتِهِ فوجِئوا بالنَّتائِجِ، فَمُحَمَّدٌ (ص) ازْدادَ إِصْراراً عَلى حَمْلِ رِسالَتِهِ وَتَلْبِيَةِ أَمْرِ اللهِ سُبْحانَهُ، فيما دَخَلَ بَعْضُ الَّذينَ جاؤوا إِلَيْهِ بالإِسْلامِ، وَتَراجَعوا عَنْ شِرْكِهِمْ.

لَيْسَ هذا فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُمْ عَمَدوا إِلى اخْتِبارٍ آخَرَ، لَطالَما سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ الكَثيرُ مِنَ الْمُشْرِكينَ مِنَ الأَقْوامِ الْغابِرَةِ الَّذينَ سَأَلوا الأَنْبِياءَ الْمُعْجِزاتِ، فَلَمْ تَزِدْهُمْ إِلا عُتُوّاً وَاسْتِكْباراً.

كانَ الإِمامُ عَلِيٌّ (ع) مَعَ رَسولِ اللهِ (ص) يَوْماً، حينَ أَتاهُ بَعْضُ شُيوخِ قُرَيْشٍ، فَقالوا لَهُ: «نَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَناهُ عَلِمْنا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنا أَنَّكَ ساحِرٌ كَذّابٌ».

فَقالَ النَّبِيُّ (ص): «وَما تَسْأَلونَ؟».



قالوا: «تَدْعو لَنا هذهِ الشَّجَرَةَ حَتّى تَنْقَلِعَ بِعُروقِها، وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ».

فَقالَ (ص): «إِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ ذلِكَ، أَتُؤْمِنونَ وَتَشْهَدونَ بِالْحَقِّ؟». قالوا: «نَعَمْ». بَعْدَ ذلِكَ تَوَجَّهَ النَّبِيُّ (ص) نَحْوَ الشَّجَرَةِ، وَقالَ: «يا أَيَّتُها الشَّجَرَةُ، إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتَعْلَمينَ أَنّي رَسولُ اللهِ، فَانْقَلِعي بِعُروقِكِ حَتّى تَقِفي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ».

فَانْقَلَعَتِ الشَّجَرَةُ وَسَطَ دَهْشَةِ الْقَوْمِ، وَأَقْبَلَتْ حَتّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ (ص) تُلْقي بِأَغْصانِها عَلَيْهِ وَعَلى الإِمامِ عَلِيٍّ (ع) الَّذي وَقَفَ إِلى يَمينِهِ، وَلَكِنَّ الْمُشْرِكينَ ظَلُّوا عَلى كُفْرِهِمْ وَضَلالِهِمْ، وَقالوا: «فَمُرْها، فَلْيَأْتِكَ نِصْفُها وَيَبْقَ نِصْفُها».

فَأَمَرَها النَّبِيُّ (ص) بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ نِصْفُها. فَقالوا: «فَمُرْ هذا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلى نِصْفِهِ كَما كانَ». فَأَمَرَهُ رَسولُ اللهِ (ص) فَرَجَعَ.



فَهتَفَ الإمامُ عَلِيٌّ (ع): «لا إِلهَ إِلاّ الله، إِنّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بكَ يا رَسولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بأَنَّ هذهِ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ ما فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَصْديقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلالاً لِكَلِمَتِكَ».

لكِنَّ الْقَوْمَ قالوا: «ساحِرٌ كَذّابٌ، عَجيبُ السِّحْرِ وَخَفيفٌ فيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ في أَمْرِكَ إِلاّ مِثْلُ هذا؟.».

نَعَمْ. لَقَدْ أَصَرَّ الْمُشْرِكونَ عَلى شِرْكِهِمْ، وَلَمْ تَزِدْهُمُ الآياتُ إِلاّ اسْتِكْباراً وَعُتُوّاً. وَاسْتَمَرّوا يُضايِقونَ مُحَمَّداً (ص) بَعْدَ أَنْ فَهِموا أَنَّ أَبا طالِبٍ لَنْ يَرْضى بِإِيذاءِ ابْنِ أَخيهِ. بَلْ إِنَّهُ أَصَرَّ عَلى مُناصَرَتِهِ وَالْوُقوفِ إِلى جانِبِهِ مَهْما كَبُرَتِ التَّضْحِياتُ!.

وَبَدَأَتْ حَمْلَةُ التَّعْذيبِ وَالأَذى، بَعْدَ أَنْ رَأَوا النّاسَ يَزْدادونَ إِيماناً يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ وَالْمُؤْمِنونَ يَكْثُرونَ، وَراحوا يُصَعِّدونَ أَساليبَهُمْ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، مِنْ شَتْمٍ إِلى إِلْقاءِ الأَوْساخِ وَالتُّرابِ في طَريقِ النَّبِيِّ (ص)، وَكانَ أَبو لَهَبٍ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ جَميلٍ يَتَقَدَّمونَ الْقَوْمَ في أَعْمالِهِمْ تِلْكَ.



وَفي يَوْمٍ مِنَ الأَيّام، أَقْبَلَ نحْوَ النَّبيِّ (ص)، وَهُوَ جالِسٌ في طَريقِ الْمَسْعى عَلى صَخْرَةٍ يَتأَمَّلُ وَيتَفكَّرُ، رَجُلانِ مِنْ مُشْرِكي قُرَيْش، أَحَدُهُما هُوَ الْحَكَمُ بْنُ هِشام، وَالآخَرُ هُوَ أبو جَهْل، وَمَعَهُما جَماعَةٌ مِنْ أَهْلِ قُرَيْشٍ راحوا يَسْخَرونَ مِنَ النَّبيِّ (ص) الشَّريفِ.

في ذلِكَ الْوَقْتِ كانَتْ جارِيَةُ صَفِيَّةَ بِنْتِ عبْدِ الْمُطَّلِبِ وَجارِيَةٌ لِعَبْدِ اللهِ بْن جَدْعانَ تَعْبُرانِ الطَّريقَ، فَأَنْكَرَتا ما فَعَلَهُ الْقَومُ رَغْمَ إِشْراكِهِما، وَشَعَرتا بِالْحُزْنِ وَالأَسَى، وَإِذْ بِالْحَمْزَةِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ النَّبيِّ (ص) قادِمٌ مِنَ الصَّيْدِ وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَصَيْدُهُ، فَأَخْبَرَتاهُ بِما فَعَلَهُ الْقَوْمُ مَعَ مُحَمَّدٍ (ص).

وَأَسْرَعَ الْحَمْزَةُ (رض)، وَالْغَضَبُ يَعْلو وَجْهَهُ، يَحُثُّ خُطاهُ نَحْوَ ابْنِ أَخيهِ مِنْ دونِ أَنْ يَنْظُرَ إِلى أَحَدٍ أَوْ يُكَلِّمَ أَحَداً، حَتّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَأَى الْحَكَمَ بْنَ هِشامٍ جالِساً بَيْنَ الْقَوْم، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ وَجَذَبَ ثَوْبَهُ. فَقالَ الْحَكَمُ وَقَدْ خَطَفَ الذُّعْرُ أَنْفاسَهُ: «يا أَبا عُمارَةَ، لَقَدْ سَفَّهَ عُقولَنا وَسَبَّ آلِهَتَنا وَخالَفَ آباءَنا».





فَصاحَ بِهِ الْحَمْزَةُ وَقالَ: «وَمَنْ أَسْفَهُ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ الحجارَةَ مِنْ دونِ اللهِ؟». ثُمَّ رَفَعَ قَوْسَهُ وَضَرَبَهُ بِها عَلى رَأْسِهِ حَتّى سالَ الدَّمُ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ صَرَخَ فيهِ صَرْخَةً أَرْعَبَتْهُ وَأَرْعَبَتِ النّاسَ مِنْ حَوْلِهِ وَقالَ: «رُدَّ عَلَيَّ ذلِكَ إِنِ اسْتَطَعْتَ، فَأَنا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ، أَتَشْتُمُهُ وَأَنا عَلى دينِهِ؟».

تِلْكَ الْحادِثَةُ جَعَلَتْ أَبا جَهْلٍ لأَوَّلِ مَرَّةٍ يُطَأْطِىءُ رَأْسَهُ خَشْيَةً وَهَلَعاً مِنَ التَّعَرُّضِ لِمُحَمَّدٍ (ص)، فَما مِنْ أَحَدٍ في قُرَيْش لا يَعْرِفُ الْحَمْزَةَ (رض).

وَعادَ الْحَمْزَةُ (رض) إِلى ابْنِ أَخيهِ مُحَمَّدٍ (ص) يُضيفُ إِلى دينِ الإِسْلام قُوَّةً وَعِزَّةً، ما جَعَلَ الكَثيرينَ مِمَّنْ أَخْفوا إِسْلامَهُمْ يُعْلِنونَهُ عَلى الْمَلأ، بَلْ إِنَّ تِلْكَ الْحادِثَةَ جَعَلَتْ أَتْباعَ مُحَمَّدٍ (ص) يَزْدادونَ الواحِدَ بَعْدَ الآخَرِ بِشَكْلٍ تَضاعَفَ مَعَهُ قَلَقُ الْمُشْرِكينَ وَخَوْفُهُمْ مِنْ أَنْ يَصِلَ الإِسْلامُ إِلى وَقْتٍ لا يُمْكِنُهُمْ فيهِ مُواجَهَتُهُ وَلا إِيقافُ حَرَكَةِ مَدِّهِ.



وَازْدادَ إيذاءُ الْمُشْرِكينَ لِلْمُسْلِمينَ، خَشْيَةً مِن ازْدِيادِ قُوَّتِهِمْ، فَنَصَحَهُمُ النَّبيُّ (ص) بالْهِجْرَةِ وَاللُّجوءِ إلى الْحَبَشَةِ حَيْثُ هُناكَ مَلِكٌ هُوَ النّجاشِيُّ يَدينُ بِدينِ عيسى (ع) وَيُؤْمِنُ بِقُرْبِ ظُهورِ نَبِيٍّ عَرَبِيٍّ، وَقَدْ قالَ النَّبِيُّ (ص) عَنْ ذلِكَ الْمَلِكِ: «إِنَّهُ مَلِكٌ لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ».

فَأَسْرَعَ مِنَ الْمُسْلِمينَ خَمْسَةَ عَشَرَ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأةٍ وَذلِكَ في السَّنَةِ الْخامِسَةِ بَعْدَ الْمَبْعَثِ الشَّريفِ.

في الْحَبَشَةِ عاشَ الْمُسْلِمونَ دينَهُمْ بِحُرِّيَّةٍ وَأَمْنٍ، وَظَلّوا أَشْهُراً ثَلاثَةً إلى أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُعْلِمونَهُمْ بِأَنَّ مِحْنَةَ تَعْذيبِ الْمُسْلِمينَ في مَكَّةَ انْتَهَتْ كَيْ يُغْرُوهُمْ بِالْعَوْدَةِ إلى مَكَّةَ لِيُعَذِّبوهُمْ مِنْ جَديدٍ، فَعادوا إِلَيْها، خاصَّةً بَعْدَ أَنْ ثارَ الأَحْباشُ عَلى مَلِكِهِمْ بِسَبَبِ مَوْقِفِهِ الْجَميلِ مَعَ الْمُسْلِمينَ، إِذْ رَأى الْمُسْلِمونَ أَنْ يُحْسِنوا صَنيعاً بِتَجْنيبِ الْمَلِكِ الّذي أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ مَزيداً مِنَ الْمُشْكِلاتِ.





فِي ذلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ حالُ الْمُسْلِمينَ في مَكَّةَ بِأَفْضَلَ مِمّا كانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ مِنْ حَيْثُ مَوْقِفِ الْمُشْرِكينَ مِنْهُمْ.

وَلَكِنَّ أَعْدادَ الْمُسْلِمينَ كانَتْ في ازْدِيادٍ. حَتّى دَخَلَ في الإِسْلامِ مَنْ كانَ عَلى مَوْقِفٍ عِدائِيٍّ جِدّاً مِنَ الْمُسْلِمينَ كَمِثْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ، الَّذي كانَ حادَّ الطِّباعِ وَسَريعَ الْبَطْشِ، فَكانَ دُخولُهُ في الإِسْلامِ مُؤَشِّراً إِلى اتِّساعِ دينِ مُحَمَّدٍ (ص)، وَوُصولِهِ إِلى قُلوبٍ كانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ تُؤْمِنَ أَوْ تُسْلِمَ.

أَمّا الْمُسْلِمونَ الَّذينَ عادوا مِنَ الْحَبَشَةِ، فَلَمْ يَجِدوا في قُرَيْشٍ ما كانوا يَأْمَلونَهُ مِنْ أَمْنٍ وَأَمانٍ، لِذا نَصَحَهُمُ النَّبِيُّ (ص) بِالْهِجْرَةِ إِلَيْها مِنْ جَديدٍ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ عَدَدُ الْمُهاجِرينَ ثَلاثَةً وَثَمانينَ رَجُلاً وَتِسْعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً.

وَعادَ الْمُسْلِمونَ إِلى أَرْضِ النَّجاشِيِّ مِنْ جَديدٍ، وَعادَ يُكْرِمُهُمْ وَيَحْتَرِمُ دينَهُمْ رافِضاً كُلَّ إِغْراءاتِ مُشْرِكي قُرَيْشٍ الَّتي تَدْعو إِلى إِعادَتِهِمْ وَإِخْراجِهِمْ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ الَّتي الْتَجَأوا إِلَيْها خَوْفاً مِنْ ظُلْمِ قُرَيْشٍ وَتَنْكيلِ كُفّارِهَا وَمُشْرِكيها.



أَمَّا هِجْرَةُ الْمُسْلِمينَ نَحْوَ تِلْكَ الْبِلادِ فَلَقَدْ كانَتْ لَها ثِمارُها الْهامَّةُ في نَشْرِ الإِسْلامِ في أَصْقاعِ الأَرْضِ.

في أَثْناءِ ذَلِكَ كانَ مُشْرِكو قُرَيْشٍ يَزْدادونَ خَوْفاً مِنَ الإِسْلامِ الَّذي بَلَغَ كُلَّ الْبُيوتِ وَالْعائِلاتِ، وَها هُوَ يَصِلُ إِلى أَرْضِ الْحَبَشَةِ دونَ أَنْ يَسْتَطيعوا مَنْعَ امْتِدادِ نورِهِ.

وَاجْتَمَعَ زُعَماءُ قُرَيْشٍ يَتَداوَلونَ في أَمْرِهِمْ باحِثينَ عَنْ تَجْرِبَةٍ جَديدَةٍ تُمَكِّنُهُمْ مِنْ مَنْعِ انْتِشارِ الإِسْلامِ بَعْدَ أَنْ عَجِزوا في جَميعِ وَسائِلِ التَّهْديدِ أَوِ الإِقْناعِ. وَأَخيراً تَوَصَّلوا إِلى فِكْرَةِ الْحِصارِ وَالْمُقاطَعَةِ، وَكَتَبوا كِتاباً تَعاهَدوا فيهِ عَلى مُقاطَعَةِ بَني هاشِمٍ جَميعاً، وَالامْتِناعِ عَنِ التَّعامُلِ مَعَهُمْ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ التَّعامُلِ كانَ، ثُمَّ وَقَّعَ عَلى الصَّحيفَةِ تِلْكَ أَرْبَعونَ رَجُلاً مِنْ وُجَهاءِ قُرَيْشٍ، وَعَلَّقوها في الْكَعْبَةِ.

وَبَدَأَ الْعَهْدُ الْجَديدُ لِحَرْبٍ ما عَرَفَتْ لَها قُرَيْشٌ مَثيلاً مِنْ قَبْلُ.

إِنَّ بَني هاشِمٍ جَميعاً، الْمُسْلِمُ مِنْهُمْ وَالْكافِرُ باتَ يُعاني مِنَ





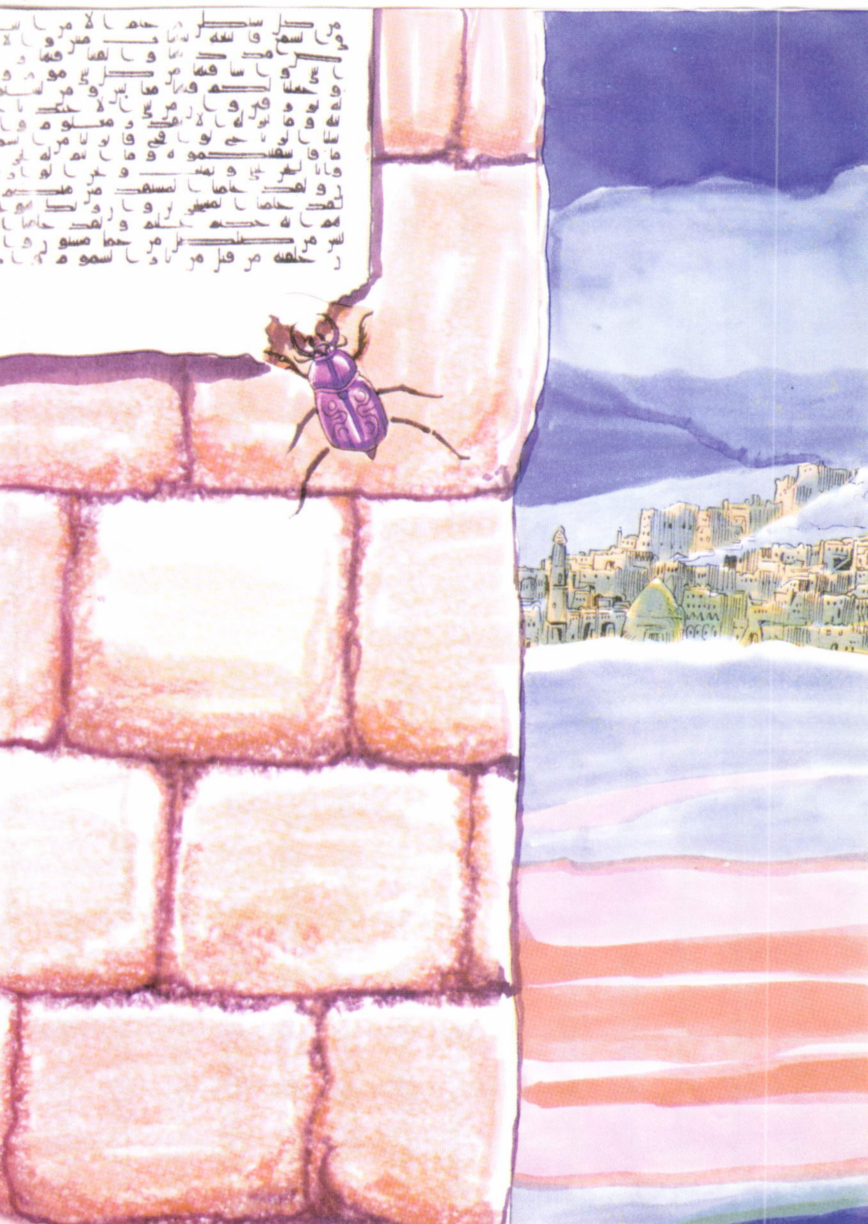
الْجوعِ وَالْعَطَشِ باسْتِثْناءِ أَبي لَهَبٍ وَأَبي سُفْيانَ.

وَراحَ أَبو طالِبٍ وَالْحَمْزَةُ وَآخَرونَ مِنْ بَني هاشِمٍ يَتَناوَبونَ عَلى حِراسَةِ شِعْبِ أَبي طالِبٍ، حَيْثُ تَجَمَّعَ بَنو هاشِمٍ، يُعانونَ الأَهْوالَ النّاجِمَةَ عَنْ ذلِكَ الْحِصارِ.

لَمْ تَقْتَصِرْ تِلْكَ الأَهْوالُ عَلى الْجوعِ وَالْعَطَشِ فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّ انْقِطاعَ النّاسِ عَنْ بَني هاشِمٍ، وَتَجَنُّبَ الاخْتِلاطِ بِهِمْ كانَ لَهُ أَلَمُهُ عِنْدَ الْقَوْمِ، وَكانَ يَحُزُّ في نَفْسِ النَّبِيِّ (ص) صُراخُ الأَطْفالِ جوعاً وَعَطَشاً، رَغْمَ ما كانَتْ تَحْمِلُهُ بَعْضُ الأَيْدي مِنْ مُساعَداتٍ بَسيطَةٍ لكِنَّها غَيْرُ كافِيَةٍ.

وَأَصَرَّ كُفّارُ قُرَيْشٍ عَلى مَوْقِفِهِمْ وَهُمْ يُراقِبونَ مَداخِلَ الشِّعْبِ، لِسَلْبِ النّاسِ ما يُمْكِنُ أَنْ يُقَدِّموهُ لِبَني هاشِمٍ مِنْ عَوْنٍ، بَلْ راحوا يَشْتَرونَ كُلَّ طَعامٍ يَجِدونَهُ في مَكَّةَ خَشْيَةَ شِرائِهِ مِنْ قِبَلِ الْهاشِمِيِّينَ.

أَمّا أَبو طالِبٍ عَمُّ النَّبِيِّ (ص) فَكانَ يَخْشى مِنْ أَمْرٍ آخَرَ.



ذلكَ الأَمْرُ هُوَ اغْتِيالُ ابْنِ أخيهِ مُحَمَّدٍ (ص)، فَكانَ يَدْفَعُ بِأبْنائِهِ إلى الْمَبيتِ في فِراشِهِ حِفاظاً عَلى سَلامَتِهِ كُلَّما شَعَرَ بِالْخَطَرِ وَالْخَوْفِ عَلَيْهِ.

وَاسْتَمَرَّ حِصارُ قُرَيْش لِبَني هاشِمٍ أَعْواماً ثَلاثَةً، انْتَهَتْ بِتَدَخُّلٍ إلهِيٍّ، حينَ سَلَّطَ اللهُ سُبْحانَهُ حَشَرَةً صَغيرَةً تُدْعى الأَرْضَةَ عَلى صَحيفَةِ الْمُقاطَعَةِ، فَأَكَلَتْها حَتّى لَمْ يَبْقَ مِنْها إلاّ اسْمُ اللهِ.

فَأَقْبَلَ مُحَمَّدٌ (ص) عَلى عَمِّهِ أَبي طالِبٍ، وَقالَ لَهُ: «يا عَمُّ، إنَّ رَبِّيَ اللهُ قَدْ سَلَّطَ الأَرَضَةَ عَلى صَحيفَةِ قُرَيْش، فَلَمْ تَدَعْ اسْماً هُوَ للهِ إلاّ أَثْبَتَتْهُ فيها، وَنَفَتْ مِنْها الظُّلْمَ وَالْقَطيعَةَ وَالْبُهْتانَ». فَقالَ: «أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهذا؟» قالَ (ص): «نَعَمْ».

فَأَسْرَعَ أبو طالِبٍ إلى قُرَيْشٍ، وَقالَ لَهُمْ: «يا مَعْشَرَ قُرَيْش. إنَّ ابْنَ أَخي أَخْبَرَني بِكَذا وَكَذا، فَهَلُمَّ صَحيفَتَكُمْ، فَإِنْ كانَ كَما قالَ ابْنُ أَخي، فَانْتَهوا عَنْ قَطيعَتِنا وَانْزِلوا عَمّا فيها، وَإِنْ يَكُنْ كاذِباً دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ ابْنَ أَخي!».



فَرَضِيَ الْقَوْمُ بِذلِكَ، وَأَسْرَعوا لِيَجِدوا الصَّحيفَةَ كَما أَخْبَرَهُمْ مُحَمَّدٌ (ص) وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ أَيّامُ الْحِصارِ، وَعادَ مُحَمَّدٌ (ص) إِلى دَعْوَتِهِ، يَجْتَمِعُ بِمَنْ جاءَ إِلى مَكَّةَ في مَواسِمِ الْحَجِّ وَالأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَيُحَدِّثُهُ عَنْ دينِهِ وَرِسالَتِهِ، وَيَدْعوهُ إِلى الْقِيَمِ الْعُلْيا، وَالرَّحْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّسامُحِ.

وَفَشِلَتْ كُلُّ الْحَمْلاتِ الْمُضادَّةِ لِدَعْوَةِ مُحَمَّدٍ (ص) مِنْ قِبَلِ الْمُشْرِكينَ، الَّذينَ راحوا يَصْطادونَ كُلَّ مَنِ الْتَقى مُحَمَّداً (ص) وَأَعْلَنَ إِسْلامَهُ لِرَدِّهِ عَنْ إيمانِهِ فَلَمْ تَكُنْ هذهِ الْمُحاوَلاتُ تَنْجَحُ.

هذهِ الأَحْداثُ كُلُّها لَمْ تَكُنْ لِتُؤَثِّرَ عَلى عَزيمَةِ مُحَمَّدٍ (ص)، وَكانَتْ آلامُهُ تَتَلاشى لِثِقَتِهِ الْعَظيمَةِ بِاللهِ سُبْحانَهُ، بِالإِضافَةِ إِلى ما أَنْعَمَ بِهِ اللهُ تَعالى عَلَيْهِ مِنْ أَحِبّاءَ، لَمْ يَكونوا لِيَتَخَلّوا عَنْهُ في أَيِّ ظَرْفٍ مِنَ الظُّروفِ.

مِنْ بَيْنِ أولئِكَ الأَحِبّاءِ كانَتْ خَديجَةُ (ع)، الزَّوْجَةُ الْوَفِيَّةُ الَّتي وَقَفَتْ أَيّامَ حِصارِ بَني هاشِمٍ إِلى جانِبِ زَوْجِها مَوْقِفاً



نَبيلاً شُجاعاً، وَدَعَمَتْ فيهِ قَوْمَهُ بِمالِها، واضِعَةً كُلَّ ما لَدَيْها في سَبيلِ اللهِ تعالى وَالتَّخْفيفِ عَنِ الْمُؤمِنينَ. هذِهِ الْمَرْأَةُ لَمْ تُقَصِّرْ يَوْماً في دَعْمِ زَوْجِها وَلا في التَّخْفيفِ عَنْهُ أَبَداً. وَإلى جانِبِها كانَ يَقِفُ أبو طالِبٍ عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) كالسّورِ الشّاهِقِ، لِيَرُدَّ عَنِ ابْنِ أَخيهِ ما يَكيدُهُ لَهُ الْقُرَشِيُّونَ مِنْ مَكائِدَ وَنَوايا شِرّيرَةٍ، وَيُدافِعُ عَنْهُ وَيَفْتَديهِ بِأَبْنائِهِ.

بَعْدَ عَشْرِ سَنَواتٍ مِنَ الْمَبْعَثِ الشَّريفِ مَرِضَ أبو طالِبٍ، وَاقْتَرَبَ مِنْهُ الأَجَلُ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ الْقُرَشِيّونَ يَسْأَلونَهُ أَنْ يَطْلُبَ مِنِ ابْنِ أَخيهِ التَّخلّيَ عَنْ دَعْوَتِهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ بِذلِكَ حَتّى فاضَتْ روحُهُ الشَّريفَة. وَأَقْبَلَ مُحَمَّدٌ (ص) يَبْكيهِ وَيَقولُ لَهُ: «رَحِمَكَ اللهُ يا عَمُّ، رَبَّيْتَ صَغيراً، وَكَفَلْتَ يَتيماً، وَنَصَرْتَ كَبيراً، فَجَزاكَ اللهُ عَنّي وَعَنِ الإسْلامِ خَيْرَ جَزاءِ الْعامِلينَ الْمُجاهِدينَ في سَبيلِهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَكُلِّ ما يَمْلِكونَ».

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ تَنَفَّسَ أَعْداءُ مُحَمَّدٍ (ص) الصُّعَداءَ، بَعْدَ أَنْ هَوى الصَّدْرُ الَّذي كانَ يُؤْويهِ كُلَّما ضَيَّقوا عَلَيْهِ الْحَياةَ.

